

سفیرنا لدى إسرائيل لا يعرف

عندما قال وزیر الخارجية أحمد أبو الغيط إنه لم یذهب إلى لبنان لنقل رسالة من عدو إلى صديق، تمنیت لو أنه قصد ما یؤمن به معظم المصريين الذين يعرفون جيدا أن إسرائيل هی عدوهم الأول، ولكن وزارة الخارجية أسرعت إلى توضیح مقصده، وهو أن إسرائيل عدوة للبنان وليس لمصر، ولم تترك لنا فرصة لنعيش قليلا فی شعور وهمی بالفخر.

وجاء كلام سفیرنا لدى إسرائيل یاسر رضا فنقلنا إلى شعور بالخجل، عندما جزم بأنه لا یمکن أن تكون إسرائيل دولة عدو، ثم عزز هذا الشعور بعظیم أمنيّاته عن إقامة مباراة كرة بین مصر وإسرائيل. ولهذا الشعور بالخجل مبعثان: أولهما أن السفير رضا لا یتخیل أن یمکن عدونا الأول عدوا. وثانيهما هو عدم معرفته قواعد أولیة فی العلاقات الدولية، وبالتالي عدم إلمامه بطبیعة دوره فی إسرائيل.

یعتقد السفير رضا، كما نُقل عنه، أنه (لا یمکن لسفير مصر أن یمکن موجودا لدى دولة عدو)، ویعنی ذلك أن الصداقة تسود بالضرورة العلاقات بین الدول التي تتبادل التمثیل الدبلوماسی، وأن الإخاء یجمعها فی كل الأحوال، وربما الحب والغرام أيضا.

وهو لا يعرف أن كثرة من الحروب المدمرة نشبت بین دول كان التمثیل الدبلوماسی متبادلا بینها لفترة طويلة. فلم یکن هذا التمثیل دلیلا على عدم وجود عداة، ولا أدى إلى وضع حد لهذا العداة. كما أن الحروب المسلحة لیست هی الدلیل الوحید على العداة. فمن الجائز أن تكون هذه الحروب باردة، مثلما كانت الحال بین الولايات المتحدة والاتحاد السوفیتی.

ومادام السفير رضا لا يعرف ذلك، فهو لا يدرك طبيعة مهمته ولا ينتبه إلى مظاهر عداة إسرائيل لنا في مجالات شتى ليس آخرها، بالتأكيد، دورها في تصعيد الخلاف بين دول منابع النيل ودولتي المصب. وإذا سأل، ببراءة، عن دليل على ذلك نحيله إلى الورقة التي أعدها تسيقي مزئيل السفير الإسرائيلي السابق لدى مصر بشأن هذه القضية وكشف فيها رؤية «الدولة الصديق!» لها. وكانت هذه الورقة موضع احتفاء في إسرائيل خلال الأسابيع الأخيرة.

والمفترض أن يكون السفير رضا هو من ينبهنا إلى مثل هذه المواقف بحكم وجوده في إسرائيل وليس العكس، أما وأنه لا يعرف طبيعة مهمته، فيتعين سحبه وعدم إيفاد سفير آخر لأنه ليس هناك ما يلزم مصر بذلك بخلاف ما يزعمه أصدقاء إسرائيل. فمعاهدة السلام تنص على إقامة علاقات دبلوماسية دون تحديد مستوى هذه العلاقات (المادة الرابعة الفقرة الثالثة). وإذا كان البروتوكول المسمى (بروتوكولاً بشأن علاقات الطرفين) أشار إلى (إقامة علاقات دبلوماسية وقنصلية وتبادل السفراء)، فقد نفذت مصر التزامها فيه وأرسلت سفراء فعلاً، وليس هناك ما يلزمها بأن يظل هناك سفير إلى الأبد. ولنا على ذلك دليلان: أولهما من البروتوكول نفسه الذي ينص على (إقامة علاقات ثقافية) لم تلتزم مصر بالاستمرار فيها. وثانيها من رسالة السادات الموثقة إلى كارتر التي جاء فيها أنه سيرسل سفيراً إلى إسرائيل استجابة لرجاء الرئيس الأمريكي. فلو أن إرسال سفير ملزم لمصر، ما احتاج الأمر أن يرحوها كارتر.